مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد12/ العدد:02 (2024)، ص: 103-124

" دراســة تاريخية على المعتقدات والطقوس الدينية لمدينة مكة في العهد الجاهلي"

Historical study on religious beliefs and rituals of the city of Mecca in the ignorant era

أ.د / رحمــاني بلقــاسم[1]، الباحث : لاشي إيـــدير طـارق[2]*

[1] جامعة الجزائر02 (الجزائر)، الإيميل المهني :

rahmanibzh@gmail.com

[2] جامعة الجزائر02 (الجزائر)، الإيميل المهني :

lachiomar29@gmial.com

تاريخ الاستلام: 2024/07/01 تاريخ القبول: 2024/07/15 تاريخ النشر: 2024/08/01

ملخص :

تعتبر مكة مدينة حضــارية في الحجاز، فهي محطة تاريخية في الحضـــارات الإنسانية، مكنتها عدة عوامل خاصة الدينية منها من الحصول على قدسية على باقي مدن الجزيرة العربية، مكنها تنوعها الحضـــاري من التأثير والتأثر في باقي المدن الحجازية و حتى مدن العالم. مما ابرز الدور الحضـــاري لها خاصـــة الجانب الديني كمركز نواة انطلاق الرسالة المحمدية الإسلامية التي غيرت مجرى الإنسان والزمان.

كلمات مفتاحيه : مكة؛ الدور الحضــاري؛ الرســالة المحمدية الإســلامية؛ الجزيرة العربية؛ المدن الحجازية.

Abstract :

Mecca is considered a civilized city in Hejaz as it is a historical station in human civilizations, several special religious factors have enabled her to obtain sanctity over the rest of the Arabian Island’s cities, its cultural diversity has enabled it to influence and influence the rest of the hajj cities and even the world’s cities. This highlighted its cultural role especially its

---

* **المؤلف المرسل :** إيدير طـارق لاشي.

religious aspect as the centre of the core of the Islamic Mohamed message, which changed the course of man and time.

Key Words : Mecca, the role of civilization, the Islamic message of Mohamed, Arabian island's, Hejaz cities.

1. مقدمة :

يعتبر للدين مكانة كبيرة و عظيمة عند أهل مكة شـأنها شـأن شـعوب الجزيرة العربية ، وذلك يبدو واضــحا من خلال المخلفات الأثرية و الحضــارية المتمثلة في المقابر كمقبرة جبل الحجون والكعبة التي خصـت مكة قبل الإسـلام بمكانة عظيمة كأهم مركز في الجزيرة العربية قبل أن تتحول إلى مركز روحي يُذكر المسلمين أهميتها، وتمثلت المعتقدات الدينية عندهم في أهم الديانات المنتشــرة بمكة أيضــا ظهور العديد من الآلهة، بحيث تعبد و تقرب الإنســان المكي منها، إضــافة إلى الشــعائر و الممارســات عند المكيين قبل الإســلام التي مارســوها في حياتهم. و ســنحاول في هذا المقال أن نسـتعرض في قراءة تاريخية الإطار الزماني الذي ينحصـر في الفترة الممتدة قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي استمرت قرن و نصف قبل البعثة وذلك بدليل ما قاله الجاحظ:" فإذا اســتظهرنا الشــعر، وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام. خمسين و مائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام.(الجاحظ، 1384هـ/1965م، ص74).

وفي هذا المقال نركز على منطقة مكة التي شهدت قبل البعثة المحمدية شيوع عقائد دينية مختلطة على شكل أفكار وعقائد متناثرة غير مرتبطة، فهي مجرد امتداد لمعتقدات أولية كالطوطمية وعبادة الأســلاف والأرواح ثم الحنفية مرورا بالوثنية في قريش. مع ذلك كله فقد وجدت عوامل أســاســية كان لها بالغ الأثر فيها من الموقع الجغرافي و العلاقات الخارجية و أثارها على تكوين ذهنية المجتمع المكي.

2.الديانات المنتشرة بمكة :

تعد شـبه جزيرة العرب مهبط الديانات السـماوية التي جاء بها الأنبياء والرسـل إلى أقوام وشــعوب مختلفة، جاءت على فترات زمنية بعيدة وغير متقاربة إلى أن جاء دين الإسـلام (محمد، دون سـنة، ص06). فكثرت وتعددت ديانات و معبودات العرب قبل ظهور محمد فكان لمكة عدد لا يحصــى من الآلهة وصــلت إلى 360 صــنم في

الكعبة التي كانت بيد قريش مما اكسبها زمام الزعامة و السـيادة الدينية بين قبائل العرب، إلى أن ظهرت إرهاصـات الدعوة المحمدية الذي وحد العرب ودمج ألهتهم في اله واحد ولغة واحدة على شكل دين جديد (غوستاف لو بون،2017م، ص ص 90 - 91)، ومن الديانات المنتشرة ما يلي:

1.2 **الديانة الحنفية** : مأخوذة من الحنف وهو الميل، ومن مفهومها الديني فقد ارتبط ذكرها مع النبي إبراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام، وهو أول من دعي إلى الميل عن الشـرك فقد كان حنيفا مسـلما، فسـمي بذلك إبراهيم حنيفا وأتباعه الحنفاء،فهو عبادة الله الواحد الأحد دون سـواه، قال الله تعالى: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْـرِكِينَ بِهِ ﴾ (أحمد، 1981م، ص80؛ سـورة الحج، الآية : ٣١) وشـعائر عبادتهم تلقوها من إبراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام من صـلاة وحج وصـيام وزكاة والتحلي بمكارم الأخلاق والإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لأمر الله فالله قد أنار أبصـارهم وعقولهم فعبدوا الله، فقد كان يمثل الحنفية الحقة فهو لم يتهود أو يتنصر مفارقا لدين قومه معتزلا أوثانهم وعقائدهم ينصحهم أن يغيروها وكان يتصف بخصال حميدة، وكان رحالا يبحث عن الحنفية الحقة خارج مكة، وهذا راجع لقدرته الكبيرة في إعمال عقله في تدبير الله في الخلق والخلائق. وكان من أشـهر الموحدين في مكة: زيد بن عمرو بن نفيل،بن أسـد بن عبد العزى بن رباح العدوي(عمر، 1385 هـ/1965م، ص 61؛ ونعمان، 1341 هـ/1923م، ص 193).

2.2 **الديانة الوثنية** : الوثنية عند المؤرخين هي الدين الذي اتخذه العرب المكيين دون الله وغيروه بالأصـنام فاسـكنوها في بيوت مقدسـة وطافوا حولها، وقد وجدت تعريفات كثيرة للأصـنام والأوثان، فالأصـنام هي تجسـيد من حجارة أو حديد بهيئة جسـم كائن حي، أما الأوثان فهي كل ما اتخذ للعبادة من أوثان وحسـب رأي بعض المؤرخين كابن المنظور وابن الكلبي فإنهما لا يختلفان في المعنى كثيرا، أما الأنصـاب فهي الآلهة المصـنوعة من الأحجار التي كانت تعبد والأنصـاب كانت حجارة حول الكعبة تنصـب فيهل عليها ويذبح عليها لغير الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُـبِ ﴾، فنرى أن المكيين كان لهم عدة آلهة صـنعوها وصـوروها ونحتوها وعبدوها خوفا أو رغبة بها فاسـتشـاروها وحلفوا

واسـتحلفوا وسـموا أبنائهم بها (محمود، 1995م، ص 159؛ وابن كلبي،1965م، ص65؛ وشـوقي، 1960م، ص89؛ وابن المنظور، دون سـنة، ص759؛ والكلبي، 1965م، ص33؛ سـورة المائدة، الآية : ٠٣). و يرجع انتشـار عبادة الأوثان والأصـنام والأنصـاب لعدة عوامل كتفرق بني إسـماعيل في شـعاب مكة بسـبب الحروب والعداوات كذلك الوفود الكثيرة إلى مكة التي تجلب معها الأوثان والأنصـاب تبركا لها كذلك الاحتكاك بالشـعوب القديمة وأخذ معتقداتهم ومعبوداتهم ويمكن أن تكون أتت من مظاهر الطبيعة من حولهم، وأيضـا يرجع الأمر إلى نسـيان أهل مكة بإرث ديانة جدهم إبراهيم فبدؤا في عبادة الحجارة الصـماء وصـاروا كالأمم السـابقة(ابن الكلبي، 1965م، ص97 والأزرقي، 1403هـ/1983م، ص86).

3.2 **الديانة المسيحية :** هي دين المسيح بن مريم عليه السلام،وتعرف بالنصرانية نسبة للنصارة نسبة للمسيح عيسى عليه السلام، فانتشرت النصرانية بمكة فقد هاجرت جماعة من المهاجرين إلى الحجاز وتحديدا في مكة فاعتنقها بعض من أهل مكة فانتشـرت بالتبشـير وليس بالهجرة وكان التبشـير يتم عن طريق دخول بعض الرهبان إلى المكان الذي يراد نشر التعاليم المسيحية فيه .فعاشوا مع البدو الرحل وكان لديهم أسـلوب خاص في الحوار والإقناع كما برعوا في التمريض والتطبيب؛ إذ أن الكثير من الرهبان القرشـيين عالجوا نسـاء عقيمات وأنجبن أولادا بفضـل قوة الرب، فدخل الكثير من سـكان العرب في ملتهم من مختلف الطبقات الاجتماعية(محمد، 1341هـ/1923م، ص202؛ ولويس، 1912م، ص ص 35- 36 وما بعدها).

4.2 الديانة اليهودية : هي الشـريعة المنزلة على موسى عليه السـلام، نسبة إلى يهوذا، وانتقلت اليهودية من مصر إلى الأراضي المقدسة في مكة، ويقال أن اليهود سكنوا الحجاز بعد العماليق في مكة والمدينة، وذلك بسـبب الهجرات اليهودية نحو الحجاز، واليهود من عدة قبائل كبني كنانة وبنو الحارث وبنو كعب في يثرب ووادي القرى والمدينة إلا أن وجد منهم بعض الأفراد في مكة وذلك راجع للعلاقات التجارية الخارجية التي تربط بين مكة ويثرب مثلا، وكان اليهود في

قريش من اشــد أعداء الدعوة المحمدية، ولامســن يقول:" أن قلة اليهود في مكة راجع إلى عدم وجود معابد خاصـــة بهم فيها"(محمد، 1341ھ/1923م، ص ص 199- 200؛ وحسن، 1994م، ص 85؛ (Lammens, 1928, pp 54-59

نرى في الأخير أن مكة عرفت انتشارا واسعا للأصنام والأوثان والأنصاب وذلك راجع للواقع المعاش آنذاك،فكانت تلك الديانات المنتشرة تمثل معتقدات عابديها كقوى كبيرة يجب تقديسها، فكانت تصنع بأشكال مختلفة حسب حاجتهم لها، أخذت من الظواهر المحيطة في حياة عابديها من القوى الطبيعية كالأشجار المقدسة أو الحجارة الطبيعية أو مواد متوارثة من الأسلاف والأجداد، وإتباع القبيلة في العادات والعبادات.

3. الآلهة والشعائر الممارسة في مكة :

كانت الآلهة في مكة تختلف من دين إلى أخر ومن قبيلة إلى أخرى، وكانت أصـــنام المكيين على أشـــكال ومواضـــع مختلفة، وكانت هذه الأصـــنام و الأوثان والأنصــاب تعتبر ألهتهم المقدســة فعبدوها وقدموا لها القرابين، وتلك الآلهة لم تكن مجرد تشــخيص أو تمثيل للآلهة بل كانت هي الآلهة بحد ذاتها (حســن، 1994م، ص88). فعظموها واهتموا بها ووضــعوا لها بعض الطقوس التي مارســوها حولها وذلك حســب عنصــرها أو القوى التي تنســب إليها ،فانتشــرت بفعل ذلك في مكة (ســميح، 1995م، ص103؛ و عبد، 2009م، ص254) ومن أهم الآلهة التي عرفها المكيين ما يلي:

1.3 هبل : كان أول صــنم عبد في مكة، يتخذ شــكل إنســان وكان مكســور اليد اليمنى مصــنوع من عقيق احمر، وفي وقت قريش جعلت له يدا من ذهب، وكان اكبر أصــنام مكة، كانت له خزانة لتقديم القرابين التي تقدر من مئة من البعير وحاجب وقداح يضـرب عليه في أقدامه السـبعة، كنوع من الاسـتخارة والمشـورة منه، على الميت أو وقت النكاح والنساء أو حفر بئر أو ختان غلام أو عند الشك في نســب احد، وعند المكيين يعتبر كاله للحرب، وكان حجاج قريش يطوفون حوله ويحلقون رؤوسـهم، وقد عرف انتشـارا واسـعا بمكة (حسـن، 1994م، ص

ص 64 – 73 – 89؛ وابـن الـكـلـبي، 1965م، ص ص 19 – 28 ؛ والأزرقي، 1403هـ/1983م، ص 89؛ وعبد، 2009م، ص ص 253-254).

2.3 اللات : هو اســم لإله مؤنث، يمثل فصـل الصـيف، وقيل أن اللات بيت لثقيف وهي قبيلة في الطائف، ذو شــكل مربع، ويقال عنها أنها اســم للشــمس وكان لها أهميـة عنـد المكيين، أو الزهرة التي تعرف بـاللات الثلاثيـة، وقـد ســميت هـذه المعبودة بعدة تســميات مختلفة ليســت في مكة وحدها بل في الجزيرة العربية كلها، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾، فهي رأس الثالوث الإلهي (ابن الكلبي، 1965م، ص16؛ والأزرقي، 1403هـ/1983م، ص95؛ وحسن، 1994م، ص 89؛ وجواد، 1413هـ/1993م، ص92، سورة النجم، الآية : ١٩- ٢٠).

3.3 العزى : كانت في واد من نخلة الشــامية بواد حراض يربط بين العراق ومكة فوق ذات علق بحوالي تسع أميال، يرمز لها بالنخلة في الكعبة، وهي صنم أنثى، وقريش تكنت بها وأقســمت بها، وكانت رمزا للشــتاء وعرفت أنها آلهة الخصــوبة والزواج والنماء قامت على هيئة امرأة حســناء فوق النخل وصـعدت للسـماء، فقد كانت من أعظم الأصــنـام عنـد قريش فقـد كـانوا يزورونـهـا ويتقربون منهـا ويهـدونهـا القرابين، حيث أن قريش إذا طافت في الكعبة تســمي اســم اللات والعزى ومناة الثـالثـة الأخرى، فـإنهن العرانيق العلى، وان شــفـاعتهن لترتجى وقـت الطواف، وعبادة هذا الصنم بدأت تتضاءل مع بداية أواخر العصر الجاهلي وبداية الدين الإســلامي (حســن، 1994م، ص89؛ وابن الكلبي، 1965م، ص ص 16 – 19 – 23؛ والألوسي،دون سنة، ص203).

4.3 منــــــــــاة : من أقدم الأصنام العربية التي عبدت بين ساحل بين مكة والمدينة، وكانت ذات أهمية كبيرة، وكان المكيين يسـمون أسـمائهم من هذا الإله مثل: زيد منـاة أو عبـد منـاة، فكـان المكيين يعظمونـه ويقـدمون لـه القرابين، فمنـاة هي صخرة تراق فيها الدماء وهي اسم مشتق من المنا و المنية أي الموت فهو موضع في مكة كان يراق الدم فيه أو ربما القدر ، فهي نجمة المســاء الخاصــة بالظلمة والعتمة والعالم السـفلى والهة الموت، وصـنم مناة كان له بيتا و سـدنة تقام فيه الحج بمكة وقضــاء المناسـك كالطواف وحلق الرأس، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ

اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾وهي أقدم إله من اللات والعزى (حســن، 1994م، ص89؛ ومحمد وعصـــام ومحمد، 2011م، ص292، سورة النجم، الآية : ١٩ – ٢٠ – ٢١؛ وسالم، دون سنة، ص 419).

5.3 أســاف ونائلة : آلهة من بني جرهم الذي صاهرهم إسـماعيل بن إبراهيم، وهما اسـما لرجل أسـاف فهو رجل يسـمى أسـاف بن يعلى وامرأة نائلة هي بنت زيد بن جرهم، ينتميان لنفس القبيلة، قد بغيا وفسقا و أوسخا في الكعبة فحولهما الله حجريين، فاخرجا من الكعبة، ونصـــبا كل واحد منها في مكان، الأول في الصـــفا والثاني في المروة عبرة للناس، وفي عهد عمرو بن لحي أمر الناس بمكة عبادتهما والاستقسام بهما، ومع مرور الوقت صار يمسح بهما بهدف التبرك والعبادة في كل مكة خاصـــة خزاعة وقريش (ابن الكلبي،1965م، ص ص 09 – 29؛ والأزرقي، 1403هـ/1983م، ص90؛ وعبد، 2009م، ص255).

6.3 غزالا مكة : هما صنمين على هيئة غزالين، يعود تاريخ هذين الصنمين إلى جرهم، ودفنهما عمرو بن الحارث الجرهمي في موضع خاص وهو موضع زمزم وقد صنعا من ذهب وذلك كان بعد أن تم نفي جرهم من طرف خزاعة، إلى أن جاء عبد المطلب و أعاد حفر زمزم فوجد تمثالين لغازلين منحوتين بالنحت البارز على شـكل شـجرة الحياة التي ترمز إلى آلهة الخصـب كما عثروا على بعض من الدروع والسيوف، فوجد الصنمين فأعادهما إلى الكعبة بعد أن ضرب على القداح أمام هبل لفداء ابنه عبد الله، وكانا الصـــنمين من ذهب فعمل على وضـــعهما في باب الكعبة كأول حلية من ذهب لتزين الكعبة بها (محمد؛ وعصام؛ ومحمد؛ 2011م، ص 298).

7.3 منــــــــاف : هو ناف ينفو أي يعلو، وكان اسم عبد مناف شائعا بمكة، مثل جد الرسول صلى الله عليه وسلم هو عبد مناف قصي بن كلاب، وقيل أن منافا كان من أعظم آلهة مكة، فقد عبد فيها(عبد، 2009م، ص256).

8.3 **نهـــم :** وهذا الإله اختصت بعبادته قبيلة مزنية وهي إحدى القبائل التي سكنت بجوار مكة، وتقربوا إليه بالذبائح ويحلفون باســمه عند الإيفاء بالوعود(محمد، وعصام، ومحمد، 2011م، ص 298).

9.3 قزح : هو صـــنم عبـد في مكـة،اعتقـد المكيين أن لـه علاقـة مع العواصـــف والصواعق، وقيل أن له علاقة مع الإله قوس قزح الذي يأتي بعد سقوط المطر، إذ يتخذ شـــكل رجل يرمي الســـهام، كان له علاقة مع المزدلفة، وكانوا يوقدون النـار على المزدلفـة بغيـة إنزال الغيـث (محمـد، وعصـــام، ومحمـد، 2011م، ص299).

10.3الخلصة : هو صخرة بيضاء تشبه التاج ولها بيت، وكانت بين مكة واليمن، وكان يقدم لها الهدايا والألبســة ،كما قدموا لها الشــعير والحنطة واللبن، وقدموا لها الذبائح واستقسموا بالأزلام (عبد، 2009م، ص262).

يبدو مما ســبق ذكره أن الآلهة التي كانت منتشـــرة بمكة نصـــفها كان أجنبيا ونصـــفها الأخر كان محليـا خـاص بـالمكيين، التي جلبتهـا من المنـاطق و الشـــعوب المجاورة في مختلف جوانب الحيـاة الحضـــارية، ممـا أدى إلى تـأثر المكيين بهم إلا أن هذا لم يمنع من وجود معتقدات وطقوس خاصـة والهة خاصـة بهم تختلف من حيث الأهمية.

فكانت هذه الحالة العامة في مكة فأرســل الله لهم رحمة منه رســولا يخرج الناس من الظلمات إلى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والســلام بدين الإســلام فهو من الاســتســلام والســلام فنزل ليضــع الدعائم الثابتة للأنظمة الحضــارية في الحياة خاصــة الاجتماعية والدينية منها التي اقتضــاها الزمان فأنقذ الأحوال المعاشــة في مكة من براثن الفوضى التي فتكت بها أيام الجاهلية فغير الإســلام مع بداية نزوله بنظام دقيق ومحكم صــالح لكل الأزمنة والشـــعوب، كدين خالد أراد به الله أن يتعبد به الخلق (محمد، 1341هـ/1923م، ص ص209 - 212). ومن إرهـاصـــات نبوته تســليم الحجر والشــجر والحيوان عليه قبل البعثة،الرؤية الصـــادقة وهي أول علامات الوحي فقد اجمع المؤرخين على أن النبي صـــلى الله عليه وســـلم معصـــوم من الكفر و الشـــرك قبل أن ينزل عليه الوحي وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصـــبح، وقد حبب له الخلوة والاعتزال والتعبد فكان يعتزل قومه في غـار حراء، فكان يمكـث فيـه الليالي ذوات العـدد،قبـل أن يرجـه إلى أهلـه ويزود لـذلـك، حتى فاجأه الحق وهو بغار حراء (ابن قيّــم، 1418هـ/1998م، ص ص 76 -77). وقد بعث محمد صـــلى الله عليه وســـلم وعمره أربعين ســـنة، جاءه جبريل عليه الســـلام

بالنبوة والوحي وقيل:"نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سـنة فقرن بنبوته إسـرافيل ثلاث سـنين، فكان يعلمه الكلمة والشـيء،ولم ينزل القران على لسـانه عشـرين سـنة" وكان ذلك يوم السابع عشر خلت من شهر ناتق أي رمضان للسنة واحد وأربعون من ميلاده فيكون عمره إذن أربعون سـنة قمرية وسـتة أشـهر وثمانية أيام ويوافق ذلك سـتة أغسـطس سـنة 610م وهو بغار حراء وكان أول ما نزل عليه من القران الكريم بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(ابن قيم، 1418هـ/1998م، ص 75، سـورة العلق، الآية : ٠١ - ٠٥). فثبت أن الوحي نزل عليه يوم الاثنين من نفس الشهر ونفس السنة والوحي المحمدي هو نظير الوحي الإلهي إلى الأنبياء والرسـل السـابقين قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ وكان أول من امن به من الرجال الأحرار البالغين كان أبو بكر،من الصبيان كان علي،ومن النساء خديجة ،والموالي زيد بن حارثة،وأما العبيد فكان بلال بن رباح الحبشـي، وبذلك كانت بداية الرسـالة والوحي والأمر بالدعوة إلى الله (ابن قيم، 1418هـ/1998م، ص 75؛ سورة النساء، الآية : ١٦٣).

وعليه فان الدعوة المحمدية كانت بشـرى لحياة جديدة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، وكان غار حراء نور حضارة انطلق منه فأشرقت الأرض وأحيا امة أبدعت وقدمت للشعوب نهر الحضارة الإنسانية على أتم وجه.

4. المعتقـدات الدينية في مكة :

ارتبطت معتقدات المكيين قبل الإسـلام بالحياة الدينية متأثرين بالطبيعة الصحراوية القاسية والظروف المعيشية الصعبة، التي جعلتهم يصدقون وجود قوى غيبة تتحكم في مصـائر الناس سـواء كانت خيرا أو شـرا، فنظروا لها نظرة تقديس واحترام وخوف، لأنها تشكلت في أذهانهم فتعلقوا بها، فاعتقدوا بها فمارسوها وسلموا أمرهم ومصائرهم لها. فكانت لهم معتقدات في العديد من الأمور منها :

1.4 التنجيم : إذ باسـتطاعته السـيطرة على القوى الخفية والغيبية، يسـتخدمونها حسـب حاجتهم لها، وفي أمور كثيرة كالتفريق بين الرجل وزوجته، تفرقة الأعداء، الجمع بين زوجين إما بالنفع أو الضـرر فهي تكون محيطة بهم من كل جانب ولا يسـتطيع أي شـخص رؤيتها لأنها خفية لذلك يسـتعين بالسـحرة والمنجمين

للسـيطرة عليها واتقاء شـرها باسـتخدام الأرواح والظلال والجن لتحميهم وتدافع عنهم، فقريش قد اعتقدت أن الآلهة والجن لهم نفس القدرات بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُــرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُــبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (محمــــــــــود، 1995م، ص 287، سورة الأنعام، الآية : ١٠٠).

2.4 الجن : ارتبطت عاداتهم بالجن وكانت عبادتهم شـائعة عند المكيين، فكان الجن يسـتدعي الناس في البرية بغية أذيته، قيل أن:"الشـياطين في الجاهلية تعزف الليل اجمع، بين الصــفا والمروة"، كصــوت الطبول أو عصــف الرياح على الأشـجار، ومن أشـهر عاداتهم المرتبطة بالجن هي ضـرب قرن الثور الماء الذي تشـرب منه الأبقار ليقتحمها الشــيطان قرني الثور وهو نوع من الجن يعتبر أخبث أنواعها (محمد، 1410هـ، ص ص 85 – 86) ومن الأماكن التي كان يعتقد العرب في مكة أنه يتواجد فيها بالأماكن الموحشـــة والمظلمة والمقفرة والفجوات والمغارات والأودية والجبال، وقيل عن الجن:"كأنهم جن عبقر"، وعبقر كان من أشـــهر الأماكن التي يتواجد بها الجن، واعتقدوا أن الجن تتلبس الحيوانات المختلفة تعرف بمطايا الجن في البوادي،كما اعتقدوا أن الجن تتزاوج مع الإنس مثل: النسـناس، ومن أنواعها:إبليس أو الشـيطان، الغيلان التي تتخذ أشـكال مختلفة، السـعلاة أو سـاحرة الجن، العفاريت والمردة، الخابل (الألوسي، دون سـنة، ص 303؛ وابن منظور، دون ســنـة، م04، ص534 وم09، ص244 وم02، ص311 وم08، ص97 وم11، ص507 وم03، ص400؛ وجــواد، 1413هـ/1993م، ص 720).

3.4 الكهانة : كانت منتشــرة بين اغلب القبائل العربية خاصـــة قريش في المدن والبادية، والكاهن يعلم الغيبيات وأخبار المســتقبل بواســطة الأرواح أو له تابع من الجن، فهي اســتخدام الجن في الأمور المغيبة، واعتقد المكيين أن الكهنة امتلكوا شـخصــية قوية جدا لذلك حضــوا بمســاعدة الجن وبالتالي كانت لهم مكانة مهمة عند الناس في أمور حياتهم(محمد، 1410هـ، ص87؛ وجواد، 1413هـ/1993م، ص313)، فالكاهن هو الذي يعرف الأمور الغيبة والأســرار المخبأة عن طريق التابع، وكان للكهانة أنواع منها: العرافة وهي تتبع الأثر ومعرفة

الشــيء المفقود باســتخدام التجارب الخاصــة والذكاء والقدرة على الملاحظة والاســتنتاج ومراقبة الأشــياء، القيافة وهي تتبع الأخبار و التنبؤ بآثار الأقدام والحوافر وحتى الطير، الفراسـة وهي الاسـتدلال بهيئة الإنسـان بأشـكاله وألوانه وصــفاته وطبائعه، العيافة وهي التنبؤ بحركة الحيوانات والطيور عبر معرفة أصــواتها وانتزاع أحشــائها ودراســتها لمعرفة الأخبار منها(الســهيلي، 1387هـ/1967م، ص137؛ والسويدي، 2016م، ص 193).

4.4 **الاستقسـام بالأزلام** : أو القداح إحدى العادات الاجتماعية الثقافية، كان يتم في كل الأمور المختلفة كالنكاح والســفر أو معرفة حال أو العمل أو دفع الديات إلا بها، فكانوا يفتخرون ويتشــرفون بهذا الفعل، وهي إحدى طرق التنبؤ من اجل التقرب للآلهة في الأســواق والتجمعات العامة والأعياد،وبعد البعثة المحمدية حرمت الأزلام قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ (أحمد، 1414هـ/1994م، ص181؛ والسهيلي، 1387هـ/1967م، ص 118، سورة المائدة، الآية : ٠٣).

5.4 **الطرق** : وهو ضرب الحصى والأحجار للكشف عن المستقبل وذلك عبر رسم عدة خطوط على الأرض ثم تمحى على مهل، فان بقي خطان فهما علامة اليســر وأما إذا بقي خط واحد فهو علامة عسر ونحس (الألوسي، دون سنة، ص 330).

6.4 **الطيـــرة** : أو تسمى الزجر وهو رمي الطيور بحجر ثم تتم مراقبة طريقة طيرانها فان طارت من جهة اليمين فهي علامة الخير والفرح أما أن طارت يســارا في علامة الشر والشؤم، فانتشرت عادة التطير فصارت تشمل كل شيء (السويدي، ج03، ص364 وج02، 2016م، ص138).

7.4 **السحر** : كان منتشـرا بكثرة عند عرب الجزيرة العربية ومنهم مكة فاعتمدوا على السحر في كل أمورهم فصار له مكنة كبيرة بين الناس خاصة النساء، فاستعانت المرأة بالسـحر من اجل أن تكســب حب زوجها أو أن تفرق بين الرجل وزوجته، وحسـب ابن خلدون فان السـحر مقسـم إلى ثلاثة أنواع: السـحر بالمعنى أي فيه مواد خاصــة كالطلاســم، الشــعوذة وهي التأثير على الشـخص المراد سـحره، التمائم تكون مكتوبة أو منقوشــة أو مصــورة فيها أســماء كتابات وعبارات مبهمة

وغـامضـــة. والمـواد وطرق اســـتخدام الســـحر كانت بالمنفعة أو المضـــرة عند القرشـيين كانت عبر: اسـتخراج عصـارة النباتات والإعشـاب واسـتعملوا السـلوانة وهي غبـار من تـراب القـبـور لـطرد الأرواح أو بهـدف الشـــفـاء (الجـاحـظ، 1384هـ/1965م، ص ص 120 – 121؛ وجواد،1413هـ/1993م، ص ص 334 – 340). أما النفث في العقد عبر لف خيط على وتر أو جذع صـــغير يعقد بذلك الوتر تتمتم عليه بعض الكلمات فتعقد العقدة مغروز بالإبر وعادة كان يدفن في الأرض وهذا ما يعرف بســحر الأذى، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَــرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَــرِّ غَاسِــقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَــرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾. كما اســتعملوا أيضــا بعض الخلطات: بخلط بعض النباتات مع الملح والدم وعظام وقرون الحيوانات ورميها على الماء أو دفنها بغية الحماية من الأرواح الشـــريرة، اســتخدموا عظام الموتى وعظام ومخالب الحيوانات، علقوا التمائم التي فيها الأحجار والمعادن أو كتابات ونقوش (ابن خلدون، (د.ت)، ص 108، ســـورة الفلق، الآية : 01،02،03،04).

8.4 **الرقية :** هي من أشــهر الممارســات في مداواة بعض الأمراض خاصــة العصــبية كالحمى والصـرع ولدغات السـم، بقراءة شـيء على المريض والنفث فيه، ونسـاء مكة كان لهن هذا الفعل بأخذ الخرز لحمايتها أو لتحقيق أمر لها، ولها أنواع: الهنمة والدردبيس لجذب قلب زوجها، كرار وهي خرزة تســتخدمها نســاء البادية لجذب قلوب رجالهن، الينجلب خرزة لتهدئة الغضـــب والرضـــا بعده مرفقة بكلمات خاصــة لكل خرزة (ابن منظور، ج06، دون ســنة، ص ص 107 – 352؛ والالوسي،ج03، دون سنة، ص706).

9.4 دفن المـــوتى : كان عندما يموت الشخص يتم البكاء عليه، وكان البكاء والعويل يتم حســب طبقة الشـخص ومكانته الاجتماعية،وشـق الجيوب دليل على إكرام الميت وتعظيمه يقوم بذلك مجموعة من النعاة إذ يركب احدهم فرسـه أو خيله ويقوم بإعلان الخبر في بين الناس ذاكرا أعماله وخصــاله وحســبه ونســبه، وكان الميت يغســل في الجاهلية مثل أبا لهب لما مات غســله أبنائه ودفن بأعلى مكة، وماء الغسـل كانوا يضـعون فيه مواد مسـاعدة للنظافة كنبات السـدر يغسـلون بيه الأطراف والرؤوس واللحى، وبعد غســل الميت كانوا يحنطونه ومواد الحنوط

كانت من عطور طيبة الرائحة تخلط للميت لتطييب الموتى، وكانوا يكفنون الميت بملابسه ويغطى رأسه إلا في حالة الاستشهاد فيدفن بملابسه، فيصلون على الميت بذكر أعماله، فيحمل في الحرج أي خشـــب، قيل: النعش للمرأة والسرير للرجل فيحمل ويشيع(محمد،1341 هـ/1923م، ص88)، وعند الجنازة تحمل النيران ويتبعها نواح النســـاء زوجة الميت أو أرملته يطلق عليها النواحة تجتمع هي والنســـاء للبكاء والنحيب على الميت وتدعى هذه المراســـم بالمناحة، فيقومون بشق الجيوب وتعفير الرؤوس ولطم الخدود وكانت تستمر أياما تذكر فيها أعمال الميت ومناقبه وكان يشترك مع أهل الميت نادبات وباكيات محترفات وعند العرب عامة قبل الإســـلام مدة العزاء تبقى عاما كاملا، والمناحة في بلاد الحجاز كانت تستمر سبعة أيام تندب وتنوح النساء فيها بيدهن النعال يصفقن بها وجوههن وصـــدورهن، بالحســـرى والحزن فلا يغســـلن أنفســـهن ولا يتطيبن ويرتدين فقط ملابس الحزن ذات اللون الأبيض، والملابس البيضـــاء هي شـــعار الحزن في بلاد الحجاز(الالوســـي، ج02، ص ص 340 – 342 وما بعدها، ج03، ص20؛ ومحمد،1341 هـ/1923م، ص ص 90 - 100)، وتدخل زوجة الميت في العدة كما ذكرنا سابقا، فيدفن الميت في مقابر خاصة على شكل حفرا أو لحودا وكان منها ما يبنى وكان منها ما يردم بالتراب مع وضـــع الحجارة فوقه ليدل على مكان القبر، أو بجانب طرق رحلة القوافل أما في حالة الاستقرار يدفن في المنزل، ومن أشـــهر المقابر بمكة كان بجبل الحجون كان أهل مكة يدفنون موتاهم فيه فهي تعد مقبرة من مقابر مكة في الجاهلية، والميت إذا مات تترك ناقته للجوع حتى تموت تســـمى نحر البلية، كان للقبر عند المكيين مكانة خاصـــة لدرجة التقديس أو ما يسمى تقديس القبور، وتوضع فوق القبر أنصاب للميت، وكانوا يضـعون عقاقير خاصـــة مثل: الخمر فوق القبور ويلطخون رأس القبر بالدم إما حفاظا على روح الميت لتصـير طائرا يطير فوق قبره يدعى الهامة أو لنزول الغيث بغية أن يسقي قبر الميت أو كقربان تعظيما له (أبي الحسين، 1412هـ/1991م، ص70؛ وجواد، ج05، 1413هـ/1993م، ص289؛ وابن منظور، ج06، دون سنة، ص376).

نســتنتج أن عبادتهم لهذه الأصــنام و الأوثان والأنصــاب كانت لهم فيها تقاليد وعقائد و أعمال في مكة قبل مجيء الإســلام فقد كان لها انتشــار واســع في أرجاء مكة مما اثر في التكوين الذهني العقائدي لديهم.

5. خــاتمة :

بالتالي نستخلص أن من خلال دراستنا لمكة في العهد الجاهلي خاصة الجانب الديني فالدارس أو الباحث لأي جانب من جوانب الحضــارات القديمة لابد له من دراســة الدين و الآلهة و المعتقدات والممارســات، بالرغم من ذلك تبقى الدراســات التاريخية الأثرية غير قادرة على تقديم أدلة مادية على ما ورد في الحياة الدينية بمكة.

كانت هذه الديانات هي ديانات المكيين قبل الإســلام، وقد أصــابها الانحلال والشـرك وحسـبوا أنفسـهم أنهم على دين إبراهيم إلا أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن أوامره وشــريعته، متأثرين بالوثنيين من عادات وتقاليد أســاســها الخرافات الدينية التي أثرت في كل مجالات الحياة، كما انتشــرت اليهودية التي تحكمت في الحياة المكية فصــار رؤســائها أربابا من دون الله همهم الوحيد المال والرياســة التي أدت لضــياع الدين وكذلك النصـرانية فصـارت وثنية معقدة الفهم واختلطت بين الله والإنسـان، كما عرفت مكة ديانات أخرى كانت منغمسة في الجهل.

كانت الأصـنام واسـعة الانتشـار في مكة وكان لها دور خاص في حياة المكيين، وصار لكل قبيلة صنم وبيت خاص بها لدرجة أن المسجد الحرام قد ملئوه بالأصنام وحتى داخل الكعبة كان فيها صور لها، فكان الشرك وعبادة الأصنام اكبر مظاهر دين قريش في مكة، فترسـخت فيهم فكرة و عقيدة الشــرك وعبادة الأصــنام والأوثان والأنصاب، فمثلت معتقد عابديها كقوى كبيرة يجب تقديسها، فكانت تصنع بأشكال مختلفة حسب حاجتهم لها.

كان للمكيين طرقهم الخاصة للعبادة فكانت لهم طقوس وشعائر مستمدة من صـميم البيئة التي كانوا يعيشـون فيها، وقد حرموا وحللوا ما كان من عاداتهم لما فيه من معاني دينية مقدسة، و نلاحظ أن البيئة الصحراوية القاسية هي المؤثر الحقيقي في فال ومصـير الإنســان القريشـي لأنهم كانوا كثيرا ما يتعرضـون للكوارث الطبيعية ويبتلون بالناب والمخلب وباللدغ و اللســع و العض والأكل والافتراس فخرجت بهم الحاجة إلى الاعتماد على هذه العادات والعقائد.

عرف المكيين الموت شـانهم شــان الشــعوب الأخرى، فكان الميت يغســل ويطيب ويدفن وتقدم له القرابين وتلطيخ قبور موتاهم بمختلف العقاقير لتروية روح الميت كما عرفوا العدة للنساء إذا مات أزواجهن.

في الأخير نســتطيع أن نقول الحمد لله غلى نعمة الإســلام الذي غير مســار الإنســان و الزمان من الجهل إلى النور كحقبة جديدة في حياة التاريخ البشــري وذلك تزامنا مع بداية و أوســاط القرن الســابع الميلادي كدين جديد انطلق من نزل الوحي على "محمّد" صـلّى الله عليه وسـلّم في غار حراء، كمكان تاريخي تسـتمّد منه الأجيال اللاّحقة الرصيد التاريخي الأوّل من ورثة الإنسانية، الذي صحّح العقائد والأفكار ديناً ودنيا.

6. قــائمة المصادر والمراجع :

- القران الكريم برواية حفص عن عاصم.

1.6 **المصــادر :**

- ابن خلدون، (دون سنة)، *المقدمة*، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
- ابن قيم الجوزية، (1418 هـ/1998م.)، *زاد المعاد في خير هدي العباد*، م:شـعيب الأرنئوط، مؤسسة الرسالة، ج01، ط02، بيروت.
- ابن كلبي، (1965م)، *الأصنام*، تح:محمد زكي، الدار القومية، القاهرة.
- ابن منظور،(دون سـنة)، *لسـان العرب*، دار صـادر، م02و 03و04و06و08و09 (د.م).
- الأزرقي،(1403هـ/1983م)، *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*،تح:رشـدي الصـالح محسن،ج01،ط03،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان،.
- الألوسـي، (دون سـنة)، تح:محمود شـكري، *بلوغ الرب في معرفة أحوال العرب*، ج01،د.ط،دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان.
- الجـاحظ، (1384هـ/1965م)، *الحيوان*، تحقيق و شــرح: عبـد الســلام محمـد هارون، ج01، ط02، د.د.ن، د.م.
- الســهيلي، (1387هـ/1967م)، *الروض الأنف في شــرح الســيرة النبويـة لابن هشام*،تح:عبد الرحمن الوكيل، ط01،دار الكتب الإسلامية،ج01،د.ب.

- السويدي، (2016م)، *سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب*، د.ط، ج02و ج03، المكتبة العلمية، د.ب.
- مسلم أبي الحسين، (1412هـ/1991)، *صحيح مسلم*، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،ط01،دار الحديث للنشر والطبع والتوزيع، بيروت/لبنان، الحديث رقم2276.

2.6 المراجع :

أ- المراجع باللغة العربية :

- بن رزق بن طرهوني محمد ، (1410هـ)، *صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية* ،مج:01، ط01، دار إبن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة.
- جمال العمري احمد ، (1981م)، *الشعراء الحنفاء*، دار المعارف، ط01، القاهرة-مصر.
- دغيم سميح ، (1995م)، *موسوعة الأديان السماوية والوضعية : أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام*، ط01، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- شيخو لويس ، (1912م)، *النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليين*، ج01، د.ط،د.د.ن، بيروت.
- ضيف شوقي ، (1960م)، *العصر الجاهلي*، د.ط، دار المعارف.
- عبد العزيز السيد سالم ، (دون سنة)، *تاريخ العرب قبل الإسلام*، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- عبد القادر خريسات محمد وعصام مصطفى هزايمية و محمد عبد الكريم محافظة، (2011م)، *تاريخ الحضارة الإنسانية* ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط01، دار اليازوري، عمان/الأردن.

- عرفـة محمود محمود ، (1995م)،*العـرب قبـل الإســلام أحـوالهم الســياســية والـدينيـة وأهم مظاهـر حيـاتهم*، ط01، عين للـدّراســات والبحوث الإنســانيـة والاجتماعية.
- علي جواد ، (1413هـ/1993م)، *المفصـــل في تـاريخ العـرب قبـل الإســلام*، ج04، ط02، جامعة بغداد ساعدت على نشره، د.ب.
- عون الروضــان عبـد ، (2009م)، موســوعـة *تـاريخ العـرب : تـاريخ؛ دول؛ ممالك؛ حضارة؛* ط03، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان_الأردن.
- فروخ عمر ، (1385 هـ/1965م)، *تـاريخ الأدب العـربي*، دار العلم للملايين، ج01، ط01، بيروت.
- مغنيـة احمـد ، (1414هـ/1994م)، *تـاريخ العـرب القـديم*، دار الصــفوة، ط01، بيروت-لبنان.
- نعمـان الجـارم محمـد ، (1341 هـ/1923م)، *أديـان العـرب في الجـاهليـة* ، ط01، مطبعة السعادة، مصر.

ب- المراجع المترجمة:

- لو بون غوســتـاف ،(2017م)، حضــارة *العـرب*، ت:عـادل زعتير،عصــير الكتب للنشر والتوزيع، (د.م).

ج- المراجع باللغة الأجنبية:

- Lammens , L’Arabie occidentale avant l’Hégire, imprimerie catholique-Beyrouth,1928.

3.6 قائمة المجلات :

- أحمـــــــــــــــــد سالم محمد، (دون سنة)، *مكّة ومكانتها الدينية؛ والسياسية؛ والاقتصادية قبل الإسلام*، مجلّة كلية الآداب، ع : 25، جامعة غريان، الأصابعة، د.ب، د.ت.

4.6 قائمة المعاجم والقواميس:

- نعمة حسن، (1994م)، *موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة*، د.ط، دار الفكر اللبناني، بيروت.